جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

المحاضرة رقم 10 في مقياس مجالات العلوم الاجتماعية

مقدمة من طرف د. سمير قريد أستاذ محاضر أ إلى طلبة السنة الأولى علوم اجتماعية

أهم رواد ونظريات العلوم الاجتماعية: اميل دوركايم ونظرية تقسيم العمل: التضامن الآلي والعضوي

ينطلق **إميل دوركايم** (1858–1917) من فرضية مفادها أن الأفراد المشتركين داخل المجتمع في أفكار ومصالح ومشاعر واهتمامات متشابهة، سينجذبون إلى بعضهم البعض ويدخلون في علاقات اجتماعية مشتركة.

وتبعا لذلك، يعتبر **دوركايم** أن الأفراد لا تحركهم المصالح الفردية والخاصة فقط، وإنما يحركهم وعيهم بانتمائهم إلى جماعة تعبر عن وجودهم كأفراد لهم روابط اجتماعية فالوعي الجمعي، الذي يجد مجاله في المجتمع المدني، يلعب دور الرابط الجماعي المؤسس على العوامل الحقيقية للتطور التاريخي، أي الأفكار والمعتقدات والحياة الاقتصادية والفنون **(الغيلاني محمد، 2004: 249)**.

وقد لاحظ **دوركايم** أنه بقدر ما يتقدم المجتمع في التاريخ، بقدر ما تتجه التنظيمات التي تتأسس على التجمعات المجالية (القرية أو المدينة، الإقليم، المقاطعة) نحو الاختفاء فالروابط التي تجمع بين الأفراد في هذه التنظيمات تصبح هشة أكثر فأكثر، والنتيجة هي إضعاف تلقائي للبنية الاجتماعية القديمة **(بوخريص فوزي، 2013: 51)**.

وانطلاقا من ذلك، يعبر **دوركايم** عن الحاجة إلى ملء الفراغ الكبير الذي لاحظه في بنية المجتمعات الأوروبية، وفي بنية المجتمع الفرنسي على الخصوص، عبر اللجوء إلى شبكة أمان مشكلة من المؤسسات المدنية، من أجل تأمين التعاون المتبادل والتصدي لحالة اغتراب الأفراد الناجمة عن انهيار البنى العضوية للمجتمع بفعل سيرورة الحداثة **(عزمي بشارة، 2008: 46)**.

تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الاجتماعية، تنتج في نظر **دوركايم** عن مصدر مزدوج، عن تشابه وعي الأفراد وعن تقسيم العمل الاجتماعي، ففي الحالة الأولى لا يكون للفرد فردية خاصة، إذ ينصهر هو ونظراؤه داخل نفس النمط الاجتماعي، هنا التشابه والتماثل يخلق التضامن الميكانيكي، وفي الحالة الثانية،

يصبح الفرد أكثر استقلالا، وفي الوقت نفسه يرتبط بالآخرين، ويسمى **دوركايم** التضامن المتولد عن هذا التمايز بين الأفراد بالتضامن العضوي **(بوخريص فوزي، 2013: 53-54)**.

بهذا المعنى، يشكل تقسيم العمل مصدرا أساسيا للتضامن العضوي. إن تقسيم العمل – يقول دوركايم – يفترض من العامل، عوض أن يبقى منكبا على مهمته، التوجه ببصره نحو متعاونيه والتفاعل معهم، وهكذا تكون جميع أشكال تقسيم العمل التي لا ينتج عنها التضامن أشكالا باثولوجية (مرضية) **(أحمد رباص، 2017)**.

بهذا المعنى، فإن النظام الاجتماعي الحديث يرتبط بتقسيم العمل إذ لا يقود إلى الاعتراف بالأهمية الوظيفية للآخر بصفته مختلفا، ومقياس الاندماج للكل لا يمكن أن يبنى على مبدأ التطابق الذي كان سائدا في الأطر الاجتماعية التقليدية، لذلك عندما قارن دوركايم الجمعية المهنية بالبنية العائلية توصل إلى تغير مقاييس انخراط الأفراد في المجال العام، لأن تقسيم العمل والتضامن العضوي شكلا قطيعة تجاوزت الرسم الكلاسيكي للجماعات، فهما في تعارض مع منطق التطابق الذي يمثل خاصية التضامن **الآلي (المولدي قسومي، 2015: 202)**.

يمكن القول إن أهمية تقسيم العمل الاجتماعي لا تكمن فقط في وجوده كسبب مباشر للتمايز البنيوي الذي تعرفه الحياة الاجتماعية الحديثة، وإنما تظهر كذلك في وجوده كمصدر وحيد للتضامن الاجتماعي، فدرجة تقسيم العمل في المجتمع لا تعبر فقط عن حجم التمايز الموجود بين البنيات والوظائف الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، بل إنها تحدد شكل وطبيعة التضامن والوعي السائد في المجتمع، لارتباطها الوثيق بالدينامية الاجتماعية ونمو التفاعلات بين الأفراد والمجتمع، بسبب ارتفاع الكثافة السكانية **(زكرياء الابراهيمي، 2016)**.

وبالمجمل، أدرك دوركايم أنه بتطور المجتمعات واكتسابها الطابع الصناعي، يزداد مقدار تقسيم العمل وتصبح عملية تقسيم العمل نفسها أكثر تعقيدا، إذ نجد الأفراد يتجهون – باضطراد– إلى ممارسة أعمال أكثر تخصصا، ويصبح أولئك الأفراد أكثر اعتمادا على الآخرين في حياتهم، ومن شأن هذا الاعتماد المتبادل أن يزيد المجتمع تماسكا، فيظهر التضامن الاجتماعي، حيث يتعاون الناس لكي يضمنوا اعتمادهم جميعا على نفس الموارد، وينطوي هذا الوضع على ترسيخ نوع من التوازن بين الحرية الفردية والنظام الاجتماعي، على أن النظام الاجتماعي لم يعد – في هذا المجتمع العضوي– مستمدا من مجموعة مشتركة من القيم، وإنما يتأسس على مجموعة من القوانين التي تحدد معالمه **(ميل تشيرتون، وآن براون، 2012: 79)**.

المراجع

1. الغيلاني محمد (2004). **المجتمع المدني: حججه، مفارقاته ومصائره، هل سيتم الاحتفاظ به؟**. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
2. الابراهيمي زكرياء (2016). **إميل دوركايم والتأسيس السوسيولوجي للحداثة.** https://www.mominoun.com/pdf1/2016-06/dorkaimm.pdf
3. بشارة عزمي (2008). **المجتمع المدني دراسة نقدية (مع إشارة للمجتمع المدني العربي)**. ط3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. بوخريص فوزي (2013). **مدخل إلى سوسيولوجيا الجمعيات**. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
5. رباص أحمد (2017). نظرية تقسيم العمل في المجتمع عند آدم سميث وإميل دوركايم: متابعة ومقارنة–. https://www.anfasse.org/2010-12-27-01-33-59/2010-12-05-18-31-21/7738-%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D9%82%D8%B3%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A2%D8%AF%D9%85-%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%AB-%D9%88-%D8%A5%D9%85%D9%8A%D9%84-%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%83%D8%A7%D9%8A%D9%85-%D9%85%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%B9%D8%A9-%D9%88%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B1%D9%86%D8%A9-%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%B5
6. قسومي المولدي (2015). **مجتمع الثورة**. تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.
7. ميل تشيرتون وآن براون (2012). **علم الاجتماع: النظرية والمنهج**. ترجمة هناء الجوهري. القاهرة: المركز القومي للترجمة.